زى محارب من العصر المملوكي " درع وخوذة "

نشأت الدولة المملوكية وترعرعت وتوطدت أركانها فى ظل النظام الحربى الذى هو من أخص مميزاتها وأبرز صفاتها، ولذلك لا عجب أن جل أهتمامهم قد أنصب على الجيش فعنوا بتزويده بالأسلحة على إختلاف أنواعها، كما عنوا أيضا بملابسهم الحربية.

ومن أهم وأشهر "ملابس المماليك المعدنية" (إن جاز إستعمال هذا التعبير) "الدروع"، ويبدو أن لبس الدروع فى المجتمع الأيوبى والمملوكى، كان أمتيازا خاصا بالأرستقراطية العسكرية، وقد عرفت من زمن بعيد، ولكنها كثرت فى عصر المماليك الأوائل وكذلك من بعدهم خلال عصر المماليك الجراكسة، وأقتصر أستعمالها فى الغالب على الدروع الثمينة الخاصة بالأمراء العظام. وقد صنع هذا النوع من الأسلحة فى العصر المملوكى في مدينتي دمشق أو القاهرة[١].

أما الخوذ المعدنية فكانت تشكل جزءا رئيسيا من زي المحارب التي حرص المحارب علي ارتدائها عبر العصور التاريخية المختلفة، وربما يرجع ذلك إلي كونها السلاح الواقي لاكثر اجزاء الجسم تعرضا للاصابة ونعي به رأس المحارب، وقد ارتبط وجودها أرتباطا وثيقا بالدروع[٢].

ويحتفظ متحف تاريخ الفنون في فيينا (*Kunst historisches museum*) بمجموعة من ملابس الفرسان وعدة المحاربين من العصور الوسطى، يرجع بعضها الى العصر المملوكى، ولقد وقع اختياري علي أحد هذه الأزياء[٣] لدراسته إذ لم يسبق دراسته من قبل[٤].

وطبقاً لسجلات المتحف فإن هذا الزي، المكون من درع وخوذة، كانا ضمن مجموعة فرديناند الثاني، أرشيدوق ولاية تيرول[٥] بالنمسا (١٥٦٤-١٥٩٥م)، وكان المتحف قد نسبه فى السابق إلي "ن كونيغ ز" ملك كيوبا بالهند، ثم قامت إدارة المتحف مؤخراً بإعادة تأريخه ونسبته لآحد أمراء المماليك، نظرا لتشابه الخوذة مع خوذة الأمير المملوكي "خاير بك"[٦] المحفوظة فى متحف طوبقابى باستانبول[٧].

---

(١) ل .أ. مايرء الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتى، مراجعة: عبد الرحمن فهمى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ص ص ٦٥- ٦٨.

(٢) حسين عليوة، السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك "دراسة آثرية"، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٤، ص ٣٠٧.

(٣) رقم السجل فى المتحف *HJRK-C-85* .

(٤) وافقت إدارة المتحف على النشر العلمي للزى، وزودت الباحث بالصور التوضيحية لبعض أجزائه.

(٥) تيرول في قلب جبال الألب، ولاية هامة فى النمسا تقع بغربى البلاد، عاصمتها أنسبروك.

(٦) خاير بك نائب حلب فى عهد السلطان الغورى، كانت خيانته من بين العوامل التى أودت بالامبراطورية المملوكية فى مصر والشام وقضت على أستقلالهما لقرون عديدة، طرخان، إبراهيم على، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، سلسلة الألف كتاب (٢٧٩)، ١٩٦٠م ، ص ٤٨

(7) http://www.europeana.eu/portal/record/15502/HJRK_C_85.html

ويهدف الباحث من خلال هذه الدراسة الى:

- دراسة الزى دراسة أثرية ودراسة العناصر الزخرفية المنفذة عليه، إذ يتميز هذا الزى بثراء زخرفي بالغ، تنوع ما بين زخارف نباتية وكتابية وهندسية.
- ترجيح الفترة الزمنية التى صنع فيها الدرع والخوذة، وذلك من خلال الدراسة المقارنة للعناصر الزخرفية، النباتية والكتابية عليه، مع العناصر الزخرفية على أزياء المحاربين المعاصرة، وعلى أنواع الأسلحة الأخرى.

الدراسة الوصفية

يتكون زي المحارب موضوع الدراسة من أسلحة دفاعية، يستخدمها المحاربون في المعارك الحربية، لوقاية أجسامهم وحمايتها من التعرض للقتل أو الإصابة بالأسلحة الهجومية.

وهذا النوع من الأسلحة كان له أهمية كبيرة عند المحارب، إذ تدفعه غريزة حب البقاء أن يفكر في هذا النوع من الأسلحة ليبعد عن نفسه الخطر(١).

ويشتمل الزي موضوع الدراسة على درع وخوذة من الحديد المذهب (لوحة ١)، ويتميز بما يحمله من عناصر زخرفية متنوعة، كما يكشف أيضا عن طراز آخر من طرز وأشكال الدروع المعروفة فى العصر المملوكي.

أولا: الدرع

الدرع(٢) من أهم الوسائل الدفاعية الحربية التي استخدمها المحاربون في العصور التاريخية المختلفة. وتميز بملازمته للمحاربين مع استحالة الاستغناء عنه أثناء القتال(٣). ومن المعروف أن العرب أستخدموا الدروع قبل الإسلام وبعده، وكانت تشتمل وقتئذ على قميص من الزرد يطلق عليه أسم "درع" يكسو معظم الجسم، والواقع أن الدروع كانت تنتقل من يد الى أخرى لتنتفع بها الأجيال المتتالية، ومن أجل هذا السبب أمكن الأحتفاظ بنماذج منها حتى الآن(٤).

---

(١) صفاء عبدالله، تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية وتطورها (القرن ٦هـ/ ١٢م – ١٠هـ/ ١٦م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١، ص ٤٤.

(٢) الدرع مفرد دروع وهو لبوس الحديد تذكر وتؤنث، والجمع في القليل: أدرع وأدراع، وفي الكثير دروع، وتصغير دريع، ووظيفة الدرع الحماية من ضربات السيوف وطعنات الرماح والخناجر، وكانت الدروع معروفة عند المصريون القدماء والسومريين والآشوريين، ومما يدل علي قدم الدروع ورود ذكرها في القرآن الكريم أكثر من مرة ومنها بسم الله الرحمن الرحيم " ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد .... " صدق الله العظيم، والسرد يقصد به مسمار الزرد – وهي حلقات الدرع، ولقد استعمل المسلمون الدروع في معارك الإسلام الأولي، وكان للرسول "صلي الله عليه وسلم" درع يقال لها " ذات الفضول" وأخري تسمي "الصفدية"، وقد أولي الخلفاء الأمويون ومن بعدهم العباسيون الدروع اهتماما، ولكن هذه الصناعة لم تصل أوجها إلا في القرنين ٦-٧هـ/ ١٢/١٣م، خلال الحروب الصليبية واستمرت في العصر المملوكي. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، المجلد الثامن، ٢٠٠٣، ص ص ٩٦- ٩٧.

(٣) عبد الناصر محمد ياسين، الأسلحة عبر العصور الإسلامية، الكتاب الأول: الأسلحة الدفاعية أو الجنن الواقية (الدروع والتروس) في في ضوء المصادر المكتوبة والفنون الإسلامية، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٩.

(٤) ماير، الملابس المملوكية، ص ص ٦٥- ٦٦.

والدرع عبارة عن ثوب ينسج من زرد الحديد[١]، يرتديه المقاتل لوقايته من السيوف والسهام[٢]، وقد يكون الدرع طويلا علي هيئة معطف يغطي معظم جسم المحارب، أو قصيرا علي هيئة قميص يقي النصف العلوي من الجسم ويمتد حتي أسفل الخصر بقليل[٣]. وقد تطورت وتنوعت الدروع وتعددت أسماؤها[٤].

ويُصنع الدرع بعمل حلقات مستديرة من الحديد تسمي زرد، وتتشكل الحلقات في صفوف رأسية وأفقية متشابكة، ويسمي الدرع الذي تركب حلقاته حلقة داخل حلقة درعا مفردة، وإن نسجت حلقتين داخل حلقتين يسمي درعا مضاعفة لتزداد إحكاما وقوة[٥].

والدرع موضوع الدراسة[٦] ينتمي للنوع الأول "المفردة" (الحلقة داخل الحلقة)[٧]، وقد زود بألواح معدنية دائرية الشكل لتقي الصدر والظهر، وهو عبارة عن قميص طويل يغطي النصف العلوي من جسم المحارب حتي أسفل الخصر، مكون من حلقات الزرد المفردة الصغيرة، المصنوعة من الحديد، المشدودة إلي بعضها، ويتخذ شكل الشبكة، وله أكمام طويلة تغطي الأذرع (لوحات ١- ٢).

ويتوسط وجه وظهر الدرع قرص مستدير كبير الحجم من الحديد المطلى بالذهب، وتحيط بالقرص صفائح من الحديد المطلى بالذهب لحماية الصدر والجانبين ومثلها في الظهر.

وثبتت الأقراص والصفائح الموجودة بالوجه والظهر أعلي الدرع عن طريق وصلها بحلق الزرد، من خلال ثقوب حول الأقراص والصفائح الحديدية، وتقف صفوف الحلق عند بداية اتصالها بالصفائح، أي ليس هناك حلق تحت الصفائح، وزخرفت صفائح وأقراص وجه وظهر الدرع بزخارف متنوعة.

الوجه:

يتوسط الوجه قرص معدني مستدير من الحديد المطلي بالذهب (لوحة ١)، وبمركز القرص دائرة يحيطها إطاران زخرفيان:

---

(١) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الأسلامي من الفتح إلي معركة المنصورة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ص ٩٣.

(٢) القلقشندي، أبي العباس أحمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، ١٩٢٢، ج ٢، ص ١٣٥.

(٣) حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٠٧.

(٤) توجد ثلاثة أنواع من الدروع في العصر المملوكي الأول: الدرع وهو رداء مصنوع من حلقات الزرد، الثاني: الجوشن وهو رداء من حلق ولكن مزود بصفائح معدنية لتقويته، الثالث: القرقل وهو رداء من حلق وصفائح معدنية ولكن مغشي من الداخل بالديباج، رنا سعد الحمودي، حرف وصناعات بلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة اليرموك، ١٩٩٦، ص ٦٦؛ عبد الناصر ياسين، الأسلحة، ص ص ٥١: ٥٥؛ حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٠٨.

(٥) صفاء عبدالله، تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية، ص ٤٥.

(٦) يبلغ طول الدرع ١١٠سم ، وعرضه ٥٩سم،
http://homepage.univie.ac.at/ebba.koch/16jh/12_ruestung_eng.htm

(٧) أما حلق الزرد فقد صنع من سلوك من حديد يتم تقطيعها إلي قطع صغيرة يصنع من كل قطعة حلقة واحدة بعد دق طرفيها وثقبهما ثم ثم ثنيهما وتثبيت الطرفين بمسمار برشام معدني دقيق، ، حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣١٣.

الإطار الخارجي: يزخرفه نصوص كتابية، تتضمن البسملة وجزءً من "آية الكرسى" منفذة بشكل دائري[١]. والكتابة منفذة بخط الثلث المجدول المنتهية قوائمه بأشكال أقواس، زينت من أعلاها وباطنها بورقة نباتية ثلاثية مثقوبة، وهي من العناصر التي تميز بها الفن المملوكي.

الإطار الثاني: يضيق قطره عن الإطار الخارجى، ويزخرفه أيضا نصوص كتابية تتضمن سورة الإخلاص بخط الثلث.

أما الدائرة بوسط القرص فقد زخرفت بعبارة: "الدنيا ساعة فاجعلها طاعة الدنيا ساعة[٢]"، والكتابة بخط الثلث المنفذ بشكل مشع.

يعلو القرص المعدني لوح معدني مُستعرض (رباعي الشكل) لحماية باقي منطقة الصدر (لوحة٣)، وهو من الحديد المذهب، تزينه كتابة تتضمن آيات قرآنية[٣].

والكتابة بخط الثلث المجدول المنتهية بأشكال قلبية متصلة ببعضها مكونة فيما بينها أشكال أقواس. وتحيط جانبي القرص الدائري اثنتان من الصفائح المعدنية تشبهان الجزء المعدنى المستعرض، ويفصل بين هذه الأشكال مثلثان من الصفائح المعدنية. والصفائح الأربع مطلية بالذهب.

وتزين هذه الصفائح زخارف نباتية قوامها أفرع نباتية دقيقة، تخرج منها أوراق ذات فص وفصين، وأوراق نباتية ثلاثية مثقوبة ووريدات خماسية البتلات، مع أنصاف المراوح النخيلية.

الظهر:

يماثل ظهر الدرع الوجه فى تكوينه (لوحة ٢) وفي كتاباته (لوحة ٥)، ولكن أضيفت إليه صفائح معدنية عريضة، أعلى الظهر، تحيط كامل كتفي المحارب لحماية الكتفين والرقبة (لوحة ٤)، وذلك لزيادة الأمان والحماية.

والصفائح من الحديد المذهب، ومزينة بأربعة أشرطة كتابية، الأشرطة الثلاثة الأولي تتضمن البسملة وآية الكرسى:

١- "بسم الله الرحمن الرحيم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ".

٢- " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلا بما شاء وسع".

٣- كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم[٤] صدق الله".

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

(٢) حديث ضعيف.

(٣) سورة الحجر، الآيات ٤٧- ٤٨.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

ومن الملاحظ أن الصانع لم يكتب الآية كاملة بل أسقط جزء منها "**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**" وذلك في بداية السطر الثاني.

ويعلو القرص المعدني صفيحة معدنية لحماية باقي منطقة الظهر، والصفيحة مزينة بكتابات تتضمن آيات قرآنية(١). والكتابة بخط الثلث المجدول المنتهي بأشكال أقواس.

ثانيا: الخوذة:

الخوذة(٢) من أهم أسلحة الدفاع التي حرص المحارب علي ارتدائها عبر العصور التاريخية المختلفة، وقد استخدمت الخوذ بشكل واسع في العصر المملوكي، وقد وصلتنا مجموعة متنوعة من الخوذات المملوكية، محفوظة بالمتاحف العالمية مختلفة الأشكال والأنواع(٣)، ونتيجة لتنوعها تعددت أسماؤها ما بين المغفر(٤) والقونس(٥) والموائمة(٦).

والخوذة موضوع الدراسة من النوع المعروف باسم "موائمة(٧)"، وهي من الحديد المطلي بالذهب، ذات شكل نصف دائري مسلوب إلى أعلي وينتهي بشكل كرة، وبدون قمة مخروطية(لوحة ٦).

يزخرف بدن الخوذة عناصر هندسية، عبارة عن تضليعات طولية بارزة، تغطي بدن الخوذة بالكامل، وتمتد من أسفل القمة العليا حتي بداية الجزء الاسطواني الشكل أسفل الخوذة.

وقد وزعت الكتابة علي الخوذة في منطقتين، إحداهن بالجزء العلوي المسلوب داخل إطار عريض، والكتابة بخط الثلث يقرأ منها : "الملكي السلطاني الملكى العالي(ال) مغلطاي(٨) العالمي" (لوحة ٨).

---

(١) سورة البروج، آيات ٢٠-٢١-٢٢.

(٢) بيضة الحديد وهي قطعة واحدة، وتجمع علي خوذ كغرف، والخوذة لفظة فارسية معربة تطلق علي كل ما يقي الرأس من غطاء مصنوع من المعدن، والخوذة من آلات الحرب تلبس لوقاية الرأس، ولضمان ذلك كانت تحشي بإسفنج ضيق الأنجاش؛ عبد الرحمن زكي، السلاح في الاسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٣؛ نبيل محمد، خزانة السلاح لمؤلف مجهول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٥٩.

(3) Zaky, A. Rahman, Introduction to The study of Islamic arms and amour, Gladius 2, 1961, pp. 24-26.

(٤) المغفر بكسر الميم وهي آلة من الحديد توضع علي الرأس لوقاية الضرب ونحوه، وله أطرافا مسدولة علي قفا اللابس وأذنية، وربما جعل منها وقاية لأنفه أيضا، وقد تكون من زرد أيضا؛ القلقشندي، صبح الاعشي، ص ١٣٥.

(٥) القونس في اللغة مقدمة الرأس، وقونس البيضه من السلاح مقدمتها، وقيل أعلاها أو السنبك أو الحديدة الطويلة التي كانت تعلو جمجمة البيضة، وربما أطلق القونس علي احد انواع الخوذ من باب تعميم اسم الجزء علي الكل؛ حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٤٦.

(٦) حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٤٧.

(٧) الموائمة من المناسبة أو الموافقة، والموأم يعني عظيم الرأس، وكانت اللفظة تطلق علي البيضة التي لا جمجمة لها، أي التي لا ترتفع ترتفع فوق الرأس وانما تتخذ شكل الرأس نفسه كالطاقية مثلا؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١٩٧.

(٨) معني مغلطاي مهر مغولي، عبدالله عطية، معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك في مصر والشام، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٢١.

أما المنطقة الأخرى فهي منفذة بالجزء الاسطواني أسفل البدن المضلع.

وبعض الألقاب نفذت بالحز داخل أشكال بيضاوية ومستديرة بالتبادل نصها: " العافي- الملكي السلطان- العافي- السلطان- الملكي العافي- الملكي- السلطان العافي".

وللخوذة واقيات معدنية كاملة، واحدة للعينين والوجه، وأخرى لوقاية الأنف واثنتان للاذنين، وأخيرا واقية لمؤخرة الرقبة، وبالنسبة لواقية العينين والوجه فهي مثبتة في مقدمة الخوذة بستة أزرار.

ويزخرف الواقية الأمامية للوجه كتابات بخط الثلث تتضمن آية قرآنية[١] (لوحة ٧) ويكتمل النص الكتابي بعبارة: "يا محمد والذين معه".

أما واقية الأنف فتتوسط مقدمة الخوذة ومكونة من مستطيل من الحديد ممتد لأعلى الخوذة، ويزينها زخارف نباتية محفورة ومحزوزة، قوامها أفرع نباتية مموجه تخرج منها أوراق نباتية. وينتهي واقي الأنف بقمة تتخذ هيئة رأس حربة مدببة ويزينها بخط الثلث بجزء من الآية الكريمة:" **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ**[٢]" (لوحة ١٠).

وبالنسبة لواقية الأذن فهي مزينة بزخارف نباتية، قوامها رسوم الارابيسك، منفذة بالحز والتذهيب. والواقي الخلفي مثبت في الخوذة بأربع وصلات مرنة، تزخرفها بالخط الكوفي المورق عبارة نصها: "العز الدائم والإقبال" (لوحة ٩).

الدراسة التحليلية

أنتجت مصر والشام فى العصر المملوكى كما هائلا من الأسلحة المعدنية تميزت بدقة صناعتها وروعة زخارفها المذهبة خاصة النباتية منها والكتابية[٣]، وهذه الأسلحة ترجع إلى عهود جميع سلاطين مصر فى العصر المملوكى بشقيه، وتحمل أسماء السلاطين أو الأمراء أو القواد. ومن خلال العروض العسكرية التي كان ينظمها المماليك بشكل مستمر يتضح مدى إهتمام سلاطين الدولة المملوكية بالجيش وتزويده بمختلف أنواع الأسلحة، فضلاً عن إنشاء الزرد خانات[٤] أو السلاح خاناه، ومعناها بيت السلاح. وتحتوى هذه الدار على مختلف أنواع الأسلحة، ويحمل اليها ما يصنع من الأسلحة فى مختلف الجهات، ويرأسها أميرا من أمراء مئتين يطلق عليه أسم

---

(١) سورة الصف، آية ١٣.

(٢) ذكر المتحف أن اسم الصانع سجل فى هذا المكان بصيغة "عمل على المحارب"، ولكن بعد إعادة القراءة تبين أنها جزء من سورة الإسراء، آية ٨٤.

(3) Aydin, Hilmi, The Arms of the Sultans, Translated Alev Bulut, Isbank Culture publication, Istanbul, 2014, p. 30.

(٤) جمع زردخانه من "زرد" بالعربية و "خانه" بمعني الدار أو البيت، أي دار الزرد. وهو مصطلح كان يطلق في العصر المملوكي للدلالة علي المخزن أو المكان الذي يحفظ فيه السلاح والعتاد الحربي وقد يطلق علي السلاح ذاته، وفي العصر المملوكي عرفت الزردخانه السلطانية وهي المخزن المشتمل علي سلاح ودروع السلطان الخاصة، حسان حلاق، وأخرون؛ المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الاولي ١٩٩٩، ص ١٠٦.

"أمير سلاح"، يعاونه جماعة عرفوا بأسم "السلاح دارية"، ويشتغل فيها جماعة من الصناع يختص كل منهم بنوع من السلاح فيعهد إليه بأمر صنعه ومهمة إصلاحه(١).

ويتضح من خلال الدراسة إستخدام صناع المعادن لطريقتين فى صناعة الأسلحة بصفة عامة وأزياء المحاربين بصفة خاصة هما الطرق والصب فى القالب.

ومن المعروف أن صناع القاهرة أجادوا منذ العصر الفاطمى عدة طرق فى صناعة المنتجات المعدنية المختلفة أهمها الصب والطرق(٢).

ولقد استخدمت طريقة الطرق(٣) فى صناعة الألواح المعدنية المدعمة للدرع .أما طريقة الصب في القوالب، والتى تتم بإعداد قوالب معينة من المعدن تتخذ نفس الشكل المراد تنفيذه، ثم يصب فيه المعدن فيتشكل مثله، وبعد تجمد المعدن تجري عملية الزخرفة علي سطحه(٤). أما تنفيذ العناصر الزخرفية على الزى فمن الملاحظ أن الصانع قد أستخدم طريقة الحزّ في تنفيذ الزخارف النباتية والكتابية علي الدرع والخوذة، وهي من الطرق الشائعة في زخرفة المعادن في العصر المملوكي(٥). كما استخدم الحفر في إبراز التضليعات المنفذة ببدن الخوذة. وبعد تنفيذ العناصر الزخرفية علي الدرع والخوذة تم طلاؤها بالذهب(٦).

أشكال الدروع والخوذ فى العصر المملوكى :

يتضح من خلال الدراسات السابقة التي تناولت الدروع المملوكية(٧)، أن الدروع التى وصلتنا كانت مزودة بمجموعة من الصفائح المعدنية المستطيلة المتراصة بشكل رأسي في الوجه والظهر، من أمثلتها درع محفوظ بالمتحف الوطني بدمشق(٨)(لوحة ١٤).

---

(١) على ابراهيم حسن، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م، ص ص ٢٦٧-٢٧٧ .

(٢) حسين عبد الرحيم عليوه، المعادن، كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٧٠.

(٣) طريقة الطرق هى إحدى العمليات الصناعية التى تمر بها التحفة المعدنية حتى تصل لشكلها النهائى،وتتم بوضع ألواح المعدن على السندال المصنوع من الحديد، ثم يطرق المعدن بمطرقة تشبه "الجاكوش" الصغير، والهدف من عملية الطرق تجميع ذرات المعدن حتى يكتسب مزيدا من الصلابة وإعطاؤه الشكل المراد تنفيذه، حسين عليوه، المعادن ، ص ٣٧١ .

(٤) حسين عليوه ، المعادن ، ص ٣٧١ .

(٥) الحز هو إجراء حزوز أو نقوش خفيفة غير غائرة علي سطح المعدن وفقا لرسم معين يعده الصانع قبل تنفيذه ثم يقوم بنقله علي سطح المعدن تمهيدا لحزّه بآلة الحزّ الخاصة ذات النهاية المدببة، التى تشبه آلة "الزنبة" التى يستعملها الصناع حاليا، حسين عليوه، المعادن، ص ٣٧١ .

(٦) التذهيب إحدي الطرق المستخدمة في زخرفة المعادن المملوكية بصفة عامة والاسلحة بصفة خاصة، وقد استمرت هذه الطريقة في العصر العثماني، ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١، ص ١٣٦.

(٧) ماير، الملابس المملوكية، حسين عليوة، السلاح المعدني، عبد الرؤوف، تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية.

(٨) رقم الحفظ، ع ر ٦٧٨٨.

ولكن وعلى الرغم من عدم وصول أشكال عدا هذا الشكل للدروع المملوكية، إلا أننا لا نستبعد أن يكون صُناع المعادن فى مصر والشام قد أبدعوا أنواعا وأشكالا أخرى للدروع، متأثرين بفنون وصناعات الأمم الأخرى، مثل الدرع موضوع الدراسة.

فالدرع موضوع الدراسة يختلف عن أشكال الدروع المملوكية التى وصلتنا، لأنه يتميز بتزويده بقرص معدني مستدير كبير الحجم في الوجه والظهر، وهذا النوع من الدروع يرجع أصله إلى أشكال دروع المغول(١).

ومن المرجح أن صناع المعادن، وتحديدا صناع الأسلحة، فى العصر المملوكى قد تأثروا بأشكال الأسلحة المغولية، وأنتجوا نوعا من الدروع يشبه الدروع المغولية، وهذا ليس بغريب فقد أثر المغول علي المماليك بشكل واضح في كافة جوانب الدولة المملوكية السياسية والاجتماعية والعسكرية، وامتد هذا التأثير المغولي إلي الملابس العسكرية التي كان يرتديها قادة وأمراء وجند الجيش المملوكي، كما أخذ الجيش المملوكي العديد من الأسلحة والدروع المغولية بطريقتين: الأولى من خلال الحروب التي خاضها المماليك واستولوا فيها علي الأسلحة المغولية، والثانية سلمية من خلال إطلاع المماليك على الأسلحة التي أتى بها المغول القبجاق(٢) إلي مصر(٣).

ومن خلال دراسة هذا الدرع وما يحمله من نصوص وكتابات وجدت بكثرة على الأسلحة المملوكية، يتضح أن المحاربين في العصر المملوكي لم يستخدموا الدروع المزودة بالصفائح المعدنية المستطيلة فقط بل من المرجح أنهم استخدموا أيضا الدروع المزودة بالأقراص المعدنية المستديرة، على الرغم من أنه لم يصلنا منها نماذج.

أما الخوذة والتى تمثل جزءا أساسيا من الزى ومطابقة فى صناعتها وزخارفها للدرع، فمن خلال الكتابات والألقاب عليها، من المرجح أنها كانت تخص أحد الأمراء الكبار فى العصر المملوكى.

ولقد ذكر ماير أنه عند نهاية العصر المملوكي ظهرت خوذة جميلة وقصيرة يطلق عليها أسم "موائمة"، بدون القمة المخروطية "قونس"، ولكنها مزودة بمدارئ لوقاية الاذن والرقبة وكذلك واقية عليا للعينين، وبأنفية (كانت تنتهى غالبا بزهرة الزنبق) وأصبحت هذه الخوذة أكثر شيوعا، وتشاهد بوضوح تام فى آخر خوذة مملوكية غير مؤرخة، ونقصد بها خوذة خاير بك، آخر الحكام المماليك لمدينة حلب(٤).

ولكن من المرجح أن هذا النوع من الخوذ "موائمة" كان معروفا منذ بداية العصر المملوكي، أو تحديدا فى منتصف القرن ٨هـ/١٤م، وهو القرن الذى بلغت فيه الفنون المملوكية قمة تألقها وتقدمها، ثم أستمرت صناعتها

---

(١) وصلتنا مجموعة من الدروع العثمانية والإيرانية المزودة بالصفائح المعدنية المستديرة لحماية الوجه والظهر، وهناك أمثلة لهذا الشكل من الدروع محفوظة بمتحف طوبقابي، والمتحف العسكري باسطنبول، حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٢٠.

(٢) مغول القبجاق كانوا يقطنون المنطقة الواقعة بين نهر أرتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين،ويطلق عليهم القبيلة الذهبية، وهذه القبيلة انتشر فيها الإسلام بعد اعتناق زعيمهم بركاي خان الإسلام ، مما ترتب عليه زيادة أواصر الصداقة والتقارب بينهم وبين دولة المماليك البحرية، وهذه القبيلة ستكون العنصر الرئيسي للجيش المملوكي وأصبح منهم فيما بعد بعض سلاطين المماليك البحرية مثل الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، صلاح الدين محمد نوار، الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٦، ص ص ١٣: ٢٣.

(٣) صلاح الدين محمد نوار، الطوائف المغولية في مصر ، ص ٥١.

(٤) ماير، الملابس المملوكية، ص ٧٨.

حتي نهاية العصر المملوكي، وإن صح هذا الأفتراض نرى جليا التشابه الكبير بين الخوذة، موضوع الدراسة، وخوذة "موائمة" الأمير خاير بك والمحفوظة بمتحف طوبقابي باستانبول والتى ترجع إلى الربع الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي(١).

الزخارف الكتابية

لعبت الزخارف الكتابية دورا مهما في كافة ميادين الفنون الإسلامية سواء علي التحف المنقولة أو الثابتة، وقد بلغ هذا الإبداع مبلغه فى العصر المملوكى حيث أدت الزخارف الكتابية دورا بارزا في زخرفة التحف المعدنية المختلفة(٢). ومن التحف التى حفلت بثراء زخرفى خاصة بالعناصر الكتابية الأسلحة بأنواعها، ومنها الدرع والخوذة موضوع البحث، إذ لا يكاد يخلو جزء من أجزائه من الكتابات.

الكتابات بخط الثلث:

من المعروف أن خط الثلث احتل صدارة الخطوط خلال العصر المملوكي لما يمتاز به من ليونة تتيح للفنان الفرصة فى تنفيذ اشكال فنية وزخرفية مختلفة واستمر استحواذ خط الثلث على الصدارة فى الزخرفة فى العصر المملوكى، الذى وصلنا منه عدد كبير من التحف الفنية المزينة بكتابات بخط الثلث(٣). وقد نفذت غالبية الكتابات على الدرع والخوذة موضوع الدراسة بخط الثلث.

ومن خلال دراسة الكتابات على الدرع والخوذة، نجد الفنان قد أبدع فى تطويع الكتابات لتتناسب مع المساحة المنفذة عليها الكتابات، واستخدم الفنان عددا من القيم الجمالية التى أعطت طابعا زخرفيا جميلاً، منها الامتداد الرأسى للحروف ذات الهامات الطالعة، مثل حروف الألف واللام والكاف والطاء وغيرها، حيث إن استمرار الحرف ممدودا يجعل العين تتابع هذه المسيرة حتى لحظة التوقف أو التشابك مع حروف أخرى(٤). وقد استخدم هذا الأسلوب فى أغلب الكتابات مثل الآية القرآنية:" ونزعنا ما فى صدورهم .."، والتى تظهر فيها المبالغة فى إطالة هامات الحروف الطالعة مما أخل بنسب هذه الحروف للحروف الأخرى، ولم يظهر تأثير سلبى لهذا الأسلوب، نتيجة للقيمة الجمالية التى طغت على النص نتيجة التكرار فى جميع أجزائه.

وإلى جانب الامتداد الرأسى نجد أن خاصية التركيب والتداخل قد استخدمت بشكل كبير فى كتابات الدرع، وهذا التركيب استخدمه الفنان لتنفيذ عدد كبير من الكلمات فى مساحة صغيرة، فلجأ إلى تقسيم بعض الكلمات وتنفيذ حروفها فوق بعضها البعض، ويظهر هذا بشكل كبير فى بعض الكلمات على الزرد مثل كلمة "صدورهم"، والتى نفذها الفنان على أربعة مستويات من الأسفل إلى الأعلى، ففى المستوى الأول "صد"، والثانى حرف "الواو"، والثالث حرف "الراء" وفى المستوى الرابع "هم". ولم يكتف الفنان بهذا بل اضاف مستوى خامسا نفذ فيه كلمة "فى"، وقد ادى

---

(1) http://www.discoverislamicart.org/database_item.php?id=object;EPM;at; Mus22; 18;de .

(٢) عبد الحسين عبد الأمير، التحف المعدنية المغولية- دراسة آثرية فنية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٥٢.

(٣) مايسة محمود داود، الكتابات العربية علي الآثار الإسلامية منذ القرن الأول حتي أواخر القرن الثاني عشر للهجرة (٧-١٨م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٩١، ص ١٦٠.

(٤) حسن المسعود ، الخط العربى، دار نشر فلاماريون -باريس، د. ت، ص ٨٤.

استخدام التركيب إلى تداخل بعض الحروف مع بعضها البعض نتيجه للامتداد الرأسى مع وجود التركيب، ويظهر ذلك بشكل واضح أيضا فى كتابات الدرع فى عدد من المواضع المختلفة.

وعندما حاول الفنان تنفيذ هذه القيم الفنية والجمالية لجأ إلى تقديم وتأخير بعض الكلمات عن مواضعها مثل تنفيذ كلمة "فى" قبل كلمة "ما" بالدرع، والآية القرآنية فى الاصل "ونزعنا ما فى .." ولكن الدواعى الفنية للفنان جعلته يقدم الكلمة الأولى عن الثانية.

كما أبدع الفنان في استخدام الكتابة المشعة، ومن المعروف أنها ظهرت بداية من عصر الناصر محمد بن قلاوون وخلفائه، ثم تضاءل وجودها إلا أنها لم تختف، بل ظلت تستخدم حتى نهاية العصر المملوكي الجركسي[١]. وقد أستخدمت الكتابة المشعة[٢] فى كتابة بعض العبارات بالقرص الأوسط للدرع "**الدنيا ساعة فأجعلها طاعة**" **(شكل ٢).**

كما ظهرت الكتابات المجدولة علي الدرع والتى أعطته طابعا وشكلا زخرفيا جميلا، وهي من سمات الزخارف الكتابية في العصر المملوكي، وقد أستخدمت الزخرفة المجدولة فى زخرفة درع مملوكي محفوظ بالمتحف العسكري باستنانبول[٣].

الخط الكوفى

تفنن الخطاطون فى العصر المملوكى فى زخرفة الخط الكوفى، وأبدعوا في زخرفته بالفروع النباتية المورقة والمزهرة، والتى ازدادت التفافاتها وتداخلها وتعقيدها، كما زاد الفنان فى تضفيرها بشكل زخرفى جميل جدا يصعب معها قراءتها أحياناً، ونجح فى الحاق أشكال العناصر المعمارية بقوائم حروفها[٤].

وقد استخدم الفنان الخط الكوفى المورق على واقى الرقبة الخلفى (لوحة ٩) فى كتابة العبارة الدعائية: "العز الدائم والإقبال"، ونلاحظ مدى التعقيد فى الزخارف التى صاحبت تنفيذ هذه العبارة حتى إن الناظر اليها لأول وهلة تبدو له وكأنها عبارة عن زخارف نباتية من أنصاف مراوح متداخلة، ولكن المُدقق يجدها متصلة بحروف الخط الكوفى، فحرف "العين" نفذ على هيئة ورقة نباتية ثلاثية، تشبه إلى حد كبير شرافات المساجد، فى حين ينتهى حرف "الزاى" بتوريق، ولم يكتف الفنان بهذا وإنما زاد فى التعقيد والتداخل بخروج فرع نباتى من النهاية السفلية للحرف ليمتد لأعلى وينتهى باوراق نباتية بديعة الشكل، ويبدو أن هذا هو الأساس الزخرفى لتنفيذ هذا النص، وهو زخرفة نهاية الحرف نفسه بزخارف التوريق، إلى جانب خروج أفرع نباتية ملتفة تنتهى بأنصاف مراوح، وهذا التكوين الزخرفى ليس وليد العصر المملوكى ولكنه ذو تاثيرات فاطمية.

---

(1) Saad, Heba, Radiating Inscription on Mamluk Metalwork, Abgadyat, vol 4, 2009, p. 97.

(٢) هناك خمسة أشكال لزخرفة مركز الكتابة المشعة، الأول يتوسط المركز اسم السلطان، الثاني: وريدة متعددة البتلات، الثالث: زهرة اللوتس،الرابع: رنك كتابي مكون من ثلاثة شطوب كتب بالأوسط بعض العبارات مثل عز لمولانا السلطان، النموذج الخامس رنك مكون من ثلاثة شطوب يتوسطة رنك وظيفي مثل رنك الكأس، Saad, Radiating Inscription, p. 98.

(٣) حسين عليوة، السلاح المعدني، لوحة ٨٩.

(٤) علاء الدين عبد العال، النقوش الكتابية الكوفية على العمائر الإسلامية فى مصر منذ بداية العصر الأيوبى وحتى نهاية العصر العثمانى، مخطوط رسالة دكتوراة- منشورة، كلية الاداب- جامعة سوهاج، ٢٠١٠م، ص ٣٧٧.

الكتابات من حيث المضمون

تنوعت مضامين الكتابة على الدرع والخوذة، ويمكن تقسيمها إلى كتابات دينية "آيات قرآنية"، وعبارات دعائية، بالإضافة لبعض الألقاب التي شاع ظهورها علي التحف الفنية المملوكية.

أولا: الآيات القرآنية

زخرف الدرع ببعض الآيات القرآنية التى تركز على وحدانية الله وعدم الشرك به، بالإضافة لحفظ الله ورعايته، مثل آية الكرسي: "**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ**"(١).

ومن المعروف أن آية الكرسي كانت من أكثر الآيات التي زينت بها الأسلحة المملوكية بصفة عامة والدروع بصفة خاصة، وكتبت الآية علي الاسلحة المملوكية للتأكيد علي أن المقاتل الذي يرتديها يحمل شرف وتاريخ الدولة الإسلامية، والآية التي تعلن عظمة الخالق، وهو ما يعزز شعور المقاتل بالإيمان والقوة في قتل أعداء الله وتعزيز الدين الإسلامي(٢).

ونجد هذه الآية تزين خوذة مملوكية محفوظة بالمتحف العسكري باستانبول(٣)، ونجدها مره أخري تزين رأس سارية خاصة بالأمير طراباي محفوظة بمتحف المتروبوليتان بنيويورك(٤).

وظهرت هذه الآية على القرص الذي يتوسط وجه وظهر الدرع موضوع الدراسة، وكتبت كاملة على الوجه فى حين أنتهت الآية على قرص الظهر عند "**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ".

كما وجدت هذه الآية تزخرف أعلى الصفيحة المعدنية المحيطة للكتف علي ظهر الدرع، ونقشت في ثلاثة أسطر، ولكن من الملاحظ أن الصانع في هذا الموضع قد أسقط أو نسي كتابة جزءاً من الآية "**من ذا الذي يشفع عنده**" وذلك في بداية السطر الثاني (لوحة ٤).

ومن الآيات القرآنية التى أستخدمت فى تزيين الدرع بعض الآيات القرآنية من سورة الحجر:"**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**"(آيات٤٧- ٤٨)، وهذه الآيات تحث على النصر أو الشهادة، وتبشر بالجنة والأبدية.

---

(١) تعد هذه الآية من أعظم آيات القرآن الكريم فقد روي الأئمة عن أبي كعب قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال : قلت ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾. وسئل رسول الله صلي الله عليه وسلم آي آيه أنزل الله عليك من القرآن أعظم؟ فقال: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾. وقال ابن عباس: "أشرف آية في القرآن آية الكرسي"، فهيم فتحي إبراهيم، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأدعية الدينية بالعمائر الدينية السلجوقية في الأناضول، بحث منشور بمؤتمر الإسهامات الحضارية، ٢٠١٠، ص ص ٢٦٥- ٢٦٦.

(٢) شاكر بن عواض، القيم الفنية والجمالية للمشغولات المعدنية في العصر المملوكي كمدخل لإثراء أشغال المعادن في مجال التربية الفنية، بحث تكميلي للحصول علي الماجستير، كلية التربية، قسم التربية الفنية، جامعة أم القري، ٢٠١٣، ص ٢٢٧.

(٣) رقم السجل، ٧٩٤٩، عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٦٢.

(٤) رقم الحفظ، 1965-36-35.

ووجدت هذه الآيات تزخرف اللوح المعدني أعلى القرص الأمامي للدرع (لوحة ٣).

كما ظهرت آيات قرآنية من سورة البروج: "**وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ، بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**" صدق الله العظيم (الآيات ٢٠-٢١-٢٢)، وهذه الآيات تحث على الجهاد وتؤكد دعم الله وحفظه للدين الإسلامي والمسلمين في مواجهة الكفرة المشركين ويوضح أن الله محيط بالكافرين ولكن لايشعرون وهو حافظ لدينه. وهذه الآيات نادرة، وتظهر لأول مرة على الأسلحة المملوكية، أعلى القرص المعدني بظهر الدرع (لوحة ٤).

ومن أكثر الآيات التي وردت علي الأسلحة المملوكية بشكل عام وعلي الخوذة موضوع الدراسة بشكل خاص آية قرآنية من سورة الصف: "**نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين**" وقد ظهرت أعلي واقي العينين، والآية تبلغ الرسول بنصر الله وتطالبه بتبشير المؤمنين بالنصر، وهذه الآية ظهرت بكثرة على الأسلحة المملوكية ومن أمثلة ذلك خوذة باسم الناصر محمد بالمتحف الملكى للسلاح فى بروكسل، وطبر باسم السلطان محمد بن قايتباى محفوظ بمتحف الفنون التطبيقية النمساوية فى فيينا(١).

وظهرت سورة الإخلاص حول مركز القرص المعدني بوجهي الدرع "**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ صدق الله**"، والسورة الكريمة للدلالة على الإخلاص التام لله ذي الجلال والعظمة، الواحد الذي لا ولد له، والكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته.

كما كتبت الآية القرأنية "**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ**(٢)" علي الخوذة في أعلي واقي الأنف، وقد ظهرت هذه الآية علي ترس من العصر المملوكي محفوظ بإحدي المجموعات الخاصة(٣) وقد زينت مركز الترس (لوحة ١١).

ثانيا: العبارات الدعائية:

تضمنت الكتابات على الدرع بعض العبارات الدعائية مثل "الدنيا ساعة فاجعلها طاعة" وذلك للحث على طاعة الله. كما ظهرت العبارة الدعائية "العز الدائم والإقبال" على الواقي الخلفي للخوذة.

وهذه العبارات وجدت تزخرف معظم التحف التطبيقية الفنية التي ترجع للعصر المملوكي، فنجدها تزخرف سيف مملوكي محفوظ بمتحف طوبقابي(٤).

ثالثا: الألقاب:

حرص الخلفاء والسلاطين والأمراء منذ بداية العصر الاسلامى على حمل ألقاب توضح مكانتهم داخل الدولة الإسلامية، واستمر هذا الأمر فى الازدياد حتى وصلت الألقاب فى العصر المملوكى إلى عدد لا يحصى، وتسجل قبل وبعد اسماء السلاطين أو الأمراء.

---

(١) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الأسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١، لوحة ٤٧.

(٢) سورة الإسراء، آية ٨٤.

(3) https://histoireislamique.wordpress.com

(٤) رقم الحفظ، (S.T.J (1/213

وقد ظهرت بعض الألقاب تزين جوانب وقمة الخوذة، ومن هذه الألقاب: "الملكى[١]، السلطانى[٢]، العافى، العالي[٣]، العالمي[٤]". ومن الملاحظ أن هذه الألقاب أضيفت إليها ياء النسبة.

الزخارف النباتية

استخدم الفنانون المسلمون الزخارف النباتية في زخرفة منتجاتهم الفنية في العصور الإسلامية المختلفة، واعتبرت الزخارف النباتية من البداية من أهم عناصر الزخرفة الإسلامية، وكان الفنان المسلم يدرك بطبيعة حسه مصادر الجمال في النباتات والأزهار ولذلك فإنه استطاع أن يصل إلي مرتبة الكمال تقريبا بصورة تدريجية في تناوله لهذه الزخارف[٥].

وقد ظهرت الزخارف النباتية علي الدرع والخوذة موضوع البحث، كأرضية للكتابات بالإضافة لاستخدامها في زخرفة الأطر والمناطق الأخرى.

رسوم الأرابيسك

أخرج الفنان المسلم نوعا جديدا من الزخرفة المُحوّرة ، وإن كان لم يبتكر وحدات زخرفية بل رسم الأزهار والأشجار والفروع والأغصان والأوراق والسيقان والطيور والحيوانات بعد أن يحورها تحويراً كادت تفقد معه صورتها القديمة، ولكنها وإن بعدت عن هذه الصور فلايزال لها جمال فني يدل على رقي مبدعها[٦].

---

(١) الملكي بفتح اللام من ألقاب الملك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن فى معناهم، وهو نسبة إلى الملك بكسر اللام، والنسبة إذا كانت للملك نفسه فهى للمبالغة، وإن كانت فى حق أحد من أتباعه كقوله فى حق بعض الأمراء ونحوهم الملكي الفلاني فالنسبة فيه على حقيقة النسب، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٦، ص ٣٠.

(٢) اسم خاص فى العرف العام بالملوك، والسلطان لقب الذى يحكم فى ولايته حكم الملوك، والياء لألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن فى معناهم، وهو نسبة إلى السلطان بكسر الياء، والنسبة إذا كانت للسلطان نفسه فهى للمبالغة، وإن كانت فى حق أحد من أتباعه كقوله فى حق بعض الأمراء ونحوهم السلطاني الفلانى، فالنسبة فيه على حقيقة النسب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ٢٥٦.

(٣) من الألقاب الفروع في عصر المماليك. وكان من الجائز أن يصف الألقاب الأصول جميعها، وكانت رتبة أعلي من "السامي" الذي كان يشترك معه في وصف المجلس، وربما سبق بلقب تابع آخر مثل "الأشرف ، الكريم"، فيقال "المقر الكريم العالي"، وربما اقتصر عليه وحده فيقال "المقام العالي"، والعالي أيضا من الألقاب التي تجري مجري التشريف، وكان يوصف به بعض الأشياء علي سبيل التشريف: فكان في عصر المماليك البحرية يطلق علي متعلقات النائب الكافل، أو النواب بالممالك الشامية، في حين كان "الشريف" لقبا علي متعلقات السلطان، وفي حالة التوقيع عن النواب بالممالك الشامية كان الأمر يوصف "بالعالي" لا " بالشريف" فيقال "رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الفلاني"، حسن الباشا، الإلقاب الأسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص ٣٩٠- ٣٩١.

(٤) من ألقاب العلماء، إلا أنه كان في الحقيقة من الألقاب المشتركة في الإصطلاح بين رجال الحرب والإدارة. وكان من الألقاب التي يعتز بها الملوك، وكان في هذه الحالة يردف غالبا "بالعامل" و "بالعادل". وفي عصر المماليك كان اللقب يأتي غالبا ضمن ألقاب السلاطين مجردا من ياء النسب، أما في حالة غيرهم من رجال الدولة فكان يرد بصيغة النسبة، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣٩٠.

(٥) ربيع حامد، الفنون الإسلامية، ص ٢٨١.

(٦) محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٢.

وكانت رسوم الارابيسك من أشهر وأكثر أنواع الزخارف النباتية استعمالا في الفنون الاسلامية، ويري هرتزفيلد[١] أنها تتكون من عناصر زخرفية نباتية وهندسية وكتابية وأيضا من أشكال الكائنات الحية، ولا تقتصر علي الوحدات والعناصر النباتية فقط.

وقد أستخدمت رسوم الأرابيسك فى زخرفة واقيات الأذن في خوذة المحارب، وفى زخرفة الصفائح المعدنية المضافة للدرع (لوحة ٥).

الأوراق النباتية

استخدمت الأوراق النباتية المتعددة الفصوص في الزخرفة، ومن الملاحظ أن الورقة النباتية الثلاثية[٢] كانت من أكثر العناصر الزخرفية ظهورا على التحف المملوكية، بل أصبحت من سمات الزخرفة في العصر المملوكي بصفة عامة.

وقد ظهرت الأوراق على الدرع والخوذة بشكلين مختلفين، فهي إما متداخلة مع الكتابات المنفذة علي الدرع أو متداخلة مع رسوم الأرابيسك والأفرع الملتفة[٣].

الشكل الأول: ظهرت فيه الورقة النباتية الثلاثية المثقوبة متداخلة مع الكتابات في قرص الزرد، وكانت تزين الكتابات من أعلى، وفي بعض الأحيان كانت تملأ المناطق الفارغة بين الحروف، وقد ظهر الفص العلوي في الورقة الثلاثية علي شكل الرمح، كما ظهرت الورقة النباتية البسيطة تتوج الكتابات المنفذة علي الصفائح المدعمة للدرع في الوجه والظهر (لوحة٢).

الشكل الثاني: ظهرت فيه الورقة النباتية الثلاثية متداخلة مع رسوم الأرابيسك، ونجدها تظهر في زخرفة الصفائح المعدنية الصغيرة المحيطة لقرص الدرع في الوجه والظهر، ونجدها متداخلة مع رسوم الأرابيسك، وقد ظهر الفص العلوي في الورقة الثلاثية على شكل الرمح.

التأريخ:

من المرجح أن الدرع والخوذة كانتا من بين الغنائم التى استولى عليها العثمانيون بعد استيلائهم على الشام ومصر، فمن المعروف أن السلطان العثماني سليم الأول بعد انتصاره علي المماليك، حمل معه إلي بلاده مجموعة من الأسلحة والدروع المملوكية، ظلت هذه الأسلحة محفوظة بطريقة ممتازة للغاية بين مجموعة كنوز متحف طوب

---

(1) Hertizfeld, Arapesque, Encycl of Islam , PP. 363- 67.

(٢) من المعروف أن الورقة النباتية الثلاثية سمة من سمات الفن الأسلامي، وبداية ظهورها كان في طراز سامراء الثاني والثالث، نها أبو بكر، الدوي والمحابر، ص ٢٠٥.

(٣) نها أبو بكر أحمد، الدوي والمحابر في مصر منذ عصر المماليك دراسة أثرية- فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٠٥.

قابي[١]، كما حفظت مجموعة من هذه الأسلحة بمخازن كنيسة سانت ايرينى "*St. Irene*" باستانبول[٢]، وقد وجدت بعض هذه القطع طريقها إلي الخارج وأصبحت من بين مجموعات أوربية وأمريكية خاصة وعامة[٣].

والدرع والخوذة، موضوع الدراسة، كانا وفقا لسجلات المتحف، فى حوزة الأرشيدوق النمساوى فرديناند الثانى التيرولى ضمن مجموعته الفنية، غالبا فى النصف الثانى من القرن ١٠هـ/ ١٦م (١٥٦٤-١٥٩٥م)، وذلك قبل انتقال ملكيته الى متحف تاريخ الفنون بفيينا.

ولقد أرخ المتحف الدرع والخوذة بالربع الأول من القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى، نظرا لتشابه شكل الخوذة مع خوذة الأمير خاير بك.

ولكن من المرجح أنهما يرجعان الى ما قبل القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادي، فالكتابة علي الخوذة تضمنت كلمة ندر وجودها على التحف المملوكية هى "العافي" وأسم يمكن أن يقرأ "مغلطاي" (لوحة ٨).

وان صحت قراءة الأسم فإن مغلـطاى كان أسما لأمراء عدة حملوا هذا الاسم، منهم أميران شهـيران عاشا في القرن الثامن الهجـرى/ الرابع عشر الميلادى، أحدهم الأمير الوزير مغلطاي الجـمالى أحد أشـهر أمراء الناصر

---

(١) بعد دخول العثمانيين حلب في شعبان ٩٢٢هـ استولي السلطان سليم علي محتويات قلعتها من أموال وأسلحة وملابس. وبعد دخول السلطان سليم مصر استولي علي خزائن قلعة قايتباي بالاسكندرية والتي وجدت فيها ملابس سلاطين الدولة المملوكية وعدتهم وأسلحتهم وآلاتهم الحربية منها عشرون ألف سيف مصري في غاية الإبداع وعشرة آلاف من الزرود وعشرون ألفا من الأقواس الدمشقية وأربعون ألفا من التروس الحلبية والدمشقية وثلاثون ألفا من المغافر وغيرها من الأسلحة، وقد نقلت كلها إلي سفن الأسطول الذي سافر بها إسلامبول، أولياجلبي، بن درويش محمد ظلي (ت ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م)، سياحتنامة، ترجمة عبد الوهاب عزام، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٩، ص ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) تقع كنيسة آيا (سانت) ايريني إلي يسار الداخل من الباب السلطاني لقصر طوبقابي ويرجع تاريخ بنائها إلي القرن الرابع الميلادي، وعندما استولي السلطان محمد الفاتح ٨٥٥: ٨٥٦هـ/ ١٤٥١: ١٤٨١ علي استانبول لم يتعرض لهذة الكنيسة للهدم، وحولها إلي مستودع للسلاح السلطاني، واستمرت كذلك حتي نهاية الإمبراطورية العثمانية، وحولت فيما بعد إلي متحف حربي، شيماء محمد السايح، الكتابات الأثرية بإبنية قصر طوبقابي بإستانبول"دراسة فنية آثرية"، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية الآداب، قسم الآثار والحضارة، جامعة حلوان، ٢٠١٣، ص ١٩.

(٣) ماير، الملابس المملوكية، ص ٦٥.

محمد[١] صاحب المدرسة (الخانقاه) الجمالية قريبا من درب ملوخيا بالقاهرة بالقرب من رحبة باب العيد[٢]، أما الثاني فهو من أمراء السلطان حسن المشهورين[٣].

ومن المحتمل أن الخوذة ترجع للأول، الأمير مغلطاي الجمالى الأستادار، أما لفظ العافي فقد ندر وجوده بين الألفاظ الواردة على العمائر أو الفنون فى العصر المملوكى ويمكن إطلاقه على هذا الأمير، فمن المعروف أن الأمير مغلطاي أصابه خلال توليه الوزارة علة، ومرض مرضا شديدا توفي به، وكما ذكرت المصادر فإنه لما "مرض وتعلل ظمئ الى العافية"[٤]، أي تاقت نفسه لطلب الشفاء ولعله سجله كدعاء على التحف التى صنعت له، خاصة وأنه ظل مريضا به حتى توفاه الله .

ومن المعروف أن مغلطاى ظل أستادارا حتى وفاته، فقد ذكر ابن تغردى: أنه فى أول المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة قدم مبشر الحاج، وأخبر بسلامة الحاج وأن الأمير مغلطاى الجمالى الأستادار على خطر، فعين السلطان عوضه فى الأستادارية الأمير أقبغا عبد الواحد، ومات مغلطاى فى العقبة[٥].

ومن الممكن الربط بين ما آل اليه حال الأمير مغلطاى بعد المرض وبين كلمة "العافي" التي ظهرت علي الخوذة فلعل الصانع سجل كلمة (العافي) كدعاء لصاحبه ورجاء من الله ليمن بالشفاء على الامير.

وإذا صح ذلك فمن المرجح نسبة الخوذة والدرع لهذا الأمير وأنهما من صناعة مصر أو الشام في القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى.

---

(١) الأمير الوزير علاء الدين الناصري الجمالي، المعروف أولاً بمغلطاي خُرُزْ، بضم الخاء المعجمة والراء وبعدها زاي، كان من أكبر مماليك السلطان الملك الناصر محمد، أمير مئة مقدم ألف. ولاه السلطان الوزارة في رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة، كان أستادارا وتولى الوزارة مضافة الى ذلك، ولم يجتمع ذلك قبله لغيره، وكان خيّراً كريماً عديم الشر حليماً، لا يستكثر شيئاً على أحد، وعمّر داراً ومدرسة وتربة وذلك بدرب الملوخية داخل القاهرة. إلا أنه في الآخر تزلزلت عند السلطان مكانته، وخانته إعانته فمرض وتعلل وظمئ الى العافية ، وتوجه الى الحجاز، وتوفي عائداً بعقبة إيلات فى المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة، ولم يزل على الوزارة الى أن مات رحمه الله تعالى، النويري، شهاب الدين الأحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ - ١٣٣٢م)، نهاية الإرب في فنون الآدب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي، ٢٠٠٤، الجزء الثالث والثلاثون، صـ ٥٤. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبوزيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٧، جـ ٥، ص ص ٤٣١- ٤٣٢. ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، النهاية والبداية، دار بن كثير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج ١٦، ص ١٧٤.

(٢) ابن تغرى بردى، جمال الدين ابي المحاسن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،دار الكتب العلمية، الطبعة الأولي، ١٩٩٢، ج ٩، ص ٧٦.

(٣) الأمير سيف الدين مغلطاي أمير آخور السلطان الملك الناصر، كان من أعيان الملك الناصر محمد ابن قلاوون وخاصكيته، تولى رأس نوبة ثم صار أمير شكار ثم ولى الأمير آخورية الكبرى، وخلعه السلطان الملك الصالح صالح بعد توليه باربعة أيام في ١٨ جمادي الاخر سنة ٧٥٢هـ، وأعتقله، وأفرج عنه عام ٧٥٥هـ وأقام في طرابلس ومرض مرضا شديدا فطلب أن يذهب إلي دمشق ليتداوي بها فوافق الملك ، ومات مغلطاي في دمشق عام ٧٥٥هـ، الصفدي، أعيان العصر ، جـ ٥، ص ص ٤٣٩- ٤٤٢. ابن كثير، النهاية والبداية، ج١٦، ص ٣٦٠.

(٤) الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص ٤٣٢.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٩٨ .

النتائج

كانت الأسلحة المعدنية أكثر أنواع الأسلحة أهمية؛ لأنها كانت السلاح الشخصي المصاحب لكل محارب، ولا تقل الاسلحة المعدنية أهمية عن المنتجات المعدنية الأخرى من عصر المماليك من الناحيتين الأثرية والفنية. فقد وصلت من هذا العصر مجموعة كبيرة من الأسلحة صنعت لسلاطين وأمراء الدولة المملوكية، وتميزت هذه الأسلحة بزخارفها وبكتاباتها فضلا عن دقة صناعتها مما جعلها أقرب إلى التحف الفنية منها إلى أدوات القتال.

وقد تناولت هذه الدراسة درع وخوذة، محفوظان بمتحف تاريخ الفنون فى فيينا صنع غالباً لأحد أمراء العصر المملوكي الكبار وينشر لأول مرة.

وبعد دراسة هذا الزي وما عليه من كتابات وعناصر زخرفية نستنتج ما يلى:

- أن الدرع موضوع الدراسة من الدروع النادرة التي تنسب للعصر المملوكي، فهو يختلف عن أشكال الدروع المملوكية التي وصلتنا، لأنه زود بقرص معدنى مستدير كبير الحجم في الوجه والظهر، ونستنتج من ذلك أن صناع المعادن وتحديدا صناع الاسلحة في العصر المملوكي قد انتجوا انواعا مختلفة من الدروع علي الرغم من عدم وصول امثلة لها.

- أن الأسلحة المملوكية تأثرت بالأسلحة المغولية، صناعةً وطرزاً، ويظهر هذا من خلال الدرع موضوع البحث، وذلك ليس بغريب فقد أثر المغول على المماليك بشكل واضح في كافة المجالات.

- من خلال الدراسة ارجح أن الدرع والخوذة يرجعان إلي القرن ٨هـ/١٤م، وإن صح ذلك فإن الخوذة من نوع "الموائمة"، قد ظهرت في فترة مبكرة من العصر المملوكي وأستمرت حتى نهايته.

- أدت الكتابات دوراً مهماً في زخرفة الأسلحة المملوكية، وتميزت أنواع الخطوط التي استخدمها الفنان في الزخرفة بالتنوع، خاصة خط الثلث الذي استخدم بصفة أساسية في زخرفة الدرع، إلي جانب الخط الكوفي، الذي استخدم أيضا في زخرفة واقي الرقبة الخلفى للخوذة.

- أن من بين الكتابات بضع كلمات أمكن قراءتها، مثل تلك التى ظهرت علي قمة الخوذة، ومنها اسم "**مغلطاى**"، وهو كما أشرنا قد يكون الأمير الوزير "**مغلطاي الجمالي**"، أحد أشهر أمراء عصر الناصر محمد بن قلاوون المتوفى عام ٧٤٢هـ/، والذى رجحنا نسبة الزى إليه، خاصة لظهور كلمة "**العافي**" ضمن الكتابات الموجودة على الخوذة، وهو كلمة نادر لم تظهر على العمائر أو الفنون فى العصر المملوكي، ويعزز وجود هذا الكلمة نسبة الخوذة إلى هذا الأمير، فقد أصابه خلال توليه الوزارة علة، كما ذكرنا، فلعله أمر بكتابته على التحف المنسوبة إليه التماساً للشفاء من الله.

- أمكن تصحيح القراءة على مقدمة الخوذة فقد ذكر المتحف أنها تحتوي علي اسم الصانع (عمل على المحارب)، ولكن بعد إعادة قراءتها تبين أن النص عبارة عن الآيه القرآنية الرابعة والثمانين من سورة الإسراء، وهي قول الله تعالي " قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ".

تامر مختار محمد

مدرس بقسم الآثار والحضارة- كلية الاداب – جامعة حلوان.

صورة من خطاب متحف تاريخ الفنون في فيينا بالموافقة علي أرسال صور زي المحارب المحفوظة بالمتحف لدراستها من قبل الباحث.

شكل (١) تفريغ للقرص المستدير بواجهة الدرع محفوظة بمتحف تاريخ الفنون فى فيينا "عمل الباحث"

شكل (٢) تفاصيل للقرص المستدير بواجهة الدرع "عمل الباحث"

شكل (٣) تفريغ للواقي الخلفي للخوذة المحفوظة بمتحف تاريخ الفنون فى فيينا "عمل الباحث"

شكل (٤) تفريغ للكتابة المتوجة لقمة الخوذة المحفوظة بمتحف تاريخ الفنون فى فيينا "عمل الباحث"

لوحة (١) زي محارب من العصر المملوكي مكونة من خوذة ودرع، محفوظة بمتحف تاريخ الفنون فى فيينا، تنشر لاول مرة".

لوحة (٢) ظهر الدرع، "ينشر لاول مرة"

لوحة (٣) تفصيل من الدرع عبارة عن لوح معدني مستعرض يعلو قرص الوجه، "ينشر لاول مرة"

لوحة (٤) تفصيل من ظهر الدرع عبارة عن لوح معدني مستعرض يعلو قرص الظهر، "ينشر لاول مرة"

لوحة (٥) القرص المستدير المزين لوسط ظهر الدرع، "ينشر لاول مرة"

لوحة (٦) خوذة مملوكية من نوع الموائمة ، "تنشر لاول مرة"

لوحة (٧) نقوش كتابية علي واقية العين الخاصة بالخوذة السابقة، "تنشر لاول مرة"

لوحة (٨) نقوش كتابية بقمة الخوذة العليا، "تنشر لأول مرة"

لوحة (٩) نقوش كتابية علي واقية الرقبة الخلفية، "تنشر لاول مرة"

لوحة (١٠) نقوش كتابية بواقية الأنف، "تنشر لاول مرة"

لوحة (١١) ترس من العصر المملوكي محفوظ بإحدي المجموعات الخاصة، "ينشر لأول مرة".
https://histoireislamique.wordpress.com

لوحة (١٢) خوذة (موائمة) تنسب للامير خير بك، محفوظة بمتحف طوبقابي سراي، "تنشر لأول مرة"
https://histoireislamique.wordpress.com

لوحة (١٣) درع من العصر المملوكي محفوظ بالمتحف الوطني بدمشق، "ينشر لأول مرة" .
https://histoireislamique.wordpress.com